السيرة الدرس الحادي عشر

الحمـد لله وكفى، والصلاةوالسـلام على النـبي الكريمالمصـطفى، صـلواتربي وسـلامه عليـه طلابنـاالكرام، مرحبـا بكم، السلامعليكم ورحمةالله تعالى وبركاته. يقول تعالى لنبيه محمد صـلى اللهعليـه وسـلم إنـا كفينـاك المسـتهزئينأيام محمـد الـذين يستهزئونبك، ويسخرون من قدكفيناك شرهم، فاصدع بماتؤمر، ولا تخف شيئا سوى الله،فإن الله كافيك من نصبك وآذاك،كما كفـاك المسـتهزين،درسـون اليـوم حـول المسـتهزئين الـذين آذوا النـبي صـلى اللهعليـه وسـلم. وكـان رؤسـاءهم قومـا من قريشمعروفين، منهم الأسود بن عبد يغوث ابن وهببن عبد المناث بن زهرة، ومنبني مخزوم الوليد بنالمغيرة، ومن بني سهم العاصبن وائل، ومن الخزاعة الحارثبن الطلاطلة. ومن هذهالجماعة الأسود بن عبد المطلب. فدعى عليهالنبي صلى اللهعليه وسلم، أي على الأسود ابنعبده يغوث، وقال اللهمأعمي بصره، وعف كله ولده، وقد حقق هذا الدعاءإذ عمي بصره، وخسـر، وخسرثلاثة من ولده في غزوة بدر،وهم جمعة، وعقيل ابنه، وحفيده الحارثابن زمعة، وابنه الوحيدالذين جاء هـو هبـار لأنـه دخلالإسلام. وهو ابن عم السيدةخديجة بالدخويد ابن أسد، زوجالنبي صلى الله عليه وسلم. وهوأيضا ابن خال السيد بـرة بنت عبـد العـزى جـدة النـبي لأمـه،وابن عبـد يغـوث ابن منـاف وخالـه. ولم يـدرك أحـد منـأخوال النبيعليـه الصـلاة والسلاموخالاتهالإسلام، وهذا هو المشهورالمتعارف عليهعند القوم، ومن المستهزئينالنظر ابن الحـاف، ابنعلقمـة، ابن كلـدة، ابن عبدمناف، العبدري، القرشي، وكنيته أبو فائد، توفي إثنان هجري، أعتى وأشرسأعداء النـبي صـلى الله عليهوسـلم. تعلم، ضرب وعزفالعود، فلما قدم مكة تعلمأهلها، فاتخذوا القينات. وكانتقريش لا تعـرف من الغنايـة إلاالنصـب، وهـو ضـرب من غناء العربأرق من الحدى، حتى قدم النظرةابن الحارث، فكانأول هو أول من ضرب علىالعود بألحان الفرس، وكان إذا سمع أنأحدا يريد دخول الإسلاموالإيمانبالنبي صلىالله عليه وسلم، يذهبإليه، وينطلق به إلى قينته، فيقولأطعميه وسقيه، وغنيه، هـذا خير ممنيدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام، وأنتقاتل بين يديه أي الغناءوالموسيقى،واللهو أفضل من العبـادات، ومايـأمر به الإسلام، فنزلتآية قرآنية فيه، وهي ومن النـاس من يشـتري لـه الحـديث ليضـل عن سـبيل اللهبغـير علم، ويتخـذها هـزوا. أولئك لهم عذاب مهين. ومن أشد المستهزئين أبوجهل عمرو بن هشام من بني مخـزون، وقـدأراد يومـا ضـرب النـبي صـلى اللهعليه وسلمبحاجر عند سجوده، فبدا لهفحل من الإبل، قال ما رأيتممثله قط، هم بيئي أنيأكلني، وقد قال النبي صـلىالله عليـه وسـلم ذلـك جبريـل، ولـو دنـا لأخـذه، وفيمـرة متـاع جمـالا. من رجلفمـا طلـه؟ فجـاء الرجـل إلى مجمعمن قـريش. يسـاعده، فدلوهعلى رسول اللهصلى الله عليه وسلم استهزاء،فخرج معه النبي صلى الله عليهوسلم، فضرب علىأبي جهـل البـاب، فقـال من هذا؟قال محمد. قال رد له ماله،وقد خرج وهومنتقع اللون، وكان قـد أفزعهصـوته، ورأىفحلا من الإبـل، قـال لم أرمثلـه، وكان قديما يسمى أبيالحكم، لأنهكان ذا رأي سديد، وقد دخلدار الندوة وسنه 25 سنة، وهيـدار حكمـاء، شـيوخها فـوق ال50. وسماه عمه الوليد بنالمغير أبا جهل لكثرة غضبه بعـدظهور الإسـلام، وفي اللغـةالعرب الجاهـل ضـد الحلم، وقيلسـماه النـبي

صلى الله عليه وسلمبذلك، أو المسلمين لكثرة عدائه، أبناؤه عكرمة بن أبيجهل، صحابيوفارس شجاع، وكان قد شهدقتل أبيه أبي جهل على يد ابنمسعود وهو فوق صدره، وكان إذذاك يقاتل مع قريش. وعند فتحمكة أراد عكرمة مع جماعةمهاجمةالمسلمين، ففشلوا. وفرإلى اليمن، وكان قد ركبالبحر إلى الحبشة، فجاءتعاصفة قوية، فقال القوم وهممشركون إنهم. إنه لا يغنيعنكم إلا أنتدعو الله وحدة، فادعوالله، فنجوا، فقال عكرما،والله لئن كان لا ينفع فيالبحر غيره،فإنه لا ينفع في البر غيره.

وكان بعض الإيذاء سببا في إسلام حمزة، وهو أسن من الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين. كما أنه قريب له من جهة أمه، فأمه هي هالة بنت وهيم، ابنة عم آمنة بنت وهب، أم الرسول صلى الله عليه وسلم لقب بسيد الشهداء، وكان قد قتل من المشركين قبل أن يقتل 31 نفسا، وكان الذي قتله، وحشي بن حرب الحبشي. غلام جبير بن مطعم، ومثل به المشركون، وكان حمزة قد أسلم في السنة الثانية من بعثة النبي، وقيل بعد دخول النبي دار الأرقم في السنة السادسة من مبعثه. وكان سبب إسلامه أن أبا جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي، اعترض الرسول صلى الله عليه وسلم عند جبل الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه، ونال منها ما يكره من اللعب لدينه، والتضعيف له، فلم يكلمه الرسول صلى الله عليه وسلم، ومولات لعبد الله بن جدعان التيمي القرشي في مسكن لها فوق الصفا، تسمع ذلك. ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة، فجلس معهم. ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدها شكيما، وكان يومئذ مشركا على دين قومه، فلما مر بمولاة لعبد الله بن جدعان، وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى بيته، قالت له يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك من أبي الحكم آنفا. وجده ما هنا، فأذاه وشتمه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب، فخرج سريعا لا يقف على أحد كما كان يصنع، يريد الطواف بالبيت معدا لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها، فشجه شجة منكرا، ثم قال أتشتمه وأنا على دينه؟ أقول ما يقول، فرد ذلك علي إن استطعت. وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، فقالوا ما تراك يا حمزة إلا قد صبأت، فقال حمزة وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة. فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

وبقي حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه الرسول من قوله صلى الله عليه وسلم. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنع، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، وفي ظل هذه الظروف الصعبة. جاءت الهجرة إلى الحبشة كأبرز الحلول للهروب بدينهم، والهجرة إلى الحبشة هي حدث تاريخي إسلامي، يقصد بهجرة بعض المسلمين الأوائل من مكة إلى بلاد الحبشة مملكة أوكسوم بسبب ما كانوا يلاقونه من إيذاء من زعماء قريش، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للخروج إلى أرض الحبشة مادحا ملكها أصحمة النجاشي بأنه ملك لا يظلم عنده أحد.

فخرج عدد من المسلمين، وكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة في رجب من العام الخامس بعد البعثة. وكانوا 11 رجلاً وأربع نسوان، وأمروا عليهم عثمان بن مظعون، ثم بلغهم، واهم بأرض الحبشة أن أهل مكة أسلم، فرجع بعض منهم إلى مكة، فلم يجدوا ذلك صحيحًا، فرجعوا، وصار معهم مجموعة أخرى إلى الحبشة، وهي الهجرة الثانية، وكانوا 83 رجلاً، وزوجاتهم وأبنائهم. على رأسهم جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، أبو حذيفة بن عتبة، وامرأته سهلة بنت سهيل، الزبير بن العوام، مصعب بن عمير، عبد الرحمن بن عوف، أبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، عثمان بن مظعون، عامر بن ربيعة العنزي، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، أبو صبرة بن أبي رهم، حاطب بن عمر، سهيل بن بيضاء. وكان خروجهم في رجب سنة خمس من البعث صاروا من مكة إلى ساحل البحر عند الشعيبة، فوجدوا سفينة أقلتهم إلى الحبشة بنصف دينار.

وقد حدث وهم في أرض الهجرة، تنازع عن الملك، وخرج بذلك رجل ينازع النجاشي ملكه. قالت أم سلمة: خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، والله ما علمنا حزنًا قط، أشد منه فرقًا من أن يظهر ذلك الملك عليه، فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي، فخرج إليه سعيرًا. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض: من يخرج، فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون؟ وقال الزبير، وكان من أحدثهم سنًا: أنا. فنفخوا له قربًا، فجعلها في صدره، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، وحضر الوقعة، فبرحمة من الله، هزم ذلك الملك، وقتل، وظهر النجاشي عليه. فجاءنا الزبير، فجعل يلوح لنا بردائه ويقول: ألا فأبشروا، فقد أظهر الله النجاشي. قلت: والله ما علمنا أننا فرحنا بشيء قط.

أقام المهاجرون عند النجاشي حتى خرج من خرج منا إلى مكة، وأقام من قام. مكث المهاجرون في الحبشة حتى بلغتهم أخبار أن أهل مكة قد أسلموا، فقرروا العودة إلى مكة في شهر شوال من نفس السنة، حتى إذا دانوا من مكة بلغهم أن ما كان

تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فمنهم من رجع إلى الحبشة، ومنهم من دخل مكة مستخفيًا، أو في جوار رجل من قريش. هجرة الصحابة الأولى إلى الحبشة كانت سنة خمس من النبوءة. وكان رجوعها من تلك الهجرة بعد ثلاث أشهر، والهجرة الثانية إلى الحبشة بعد عام واحد من الهجرة الأولى، أي في السنة السادسة للبعثة النبوية.

وكانت هذه الهجرة أصعب من سابقتها، وأكثر خطورة، لأن قريش تيقظت لها، وكانت تحاول إحباطها، لولا أن الله تعالى يسرها للمسلمين، وكانوا أسرع من المشركين، وكان عدد المهاجرين في هذه المرة 82، وقيل 83 رجلاً وثمانية عشر امرأة، منهن 11 امرأة قرشية، وسبع غير قرشيات، وكان أمير هذه الهجرة هو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وبقي جعفر ومعه جزء من المهاجرين في الحبشة حتى السنة السابعة للهجرة. فمراجها إلى المدينة في غزوة خيبر، فكانت مدة إقامة المسلمين في الحبشة في الهجرة الثانية حوالي عشر سنوات أو أكثر.

غاض المشركون أن يجد المسلمون ملاذًا آمنًا في الحبشة. فقرروا أن يلاحقوهم ويقوموا بإفشال هجرتهم، مكيدة منهم، فأرسلوا رجلين من أدهى رجالهم إلى الحبشة، هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيع قبل أن يدخل في الإسلام كي يقنع النجاشي بطرد المسلمين وتسليمهم إلى قريش. فأخذا معهما الهدايا الثمينة للنجاشي وبطارقته، وأقنع البطارقة بما يريدان، لكن النجاشي لم يقتنع. وطلب حضور المسلمين والسماع منهم، فحضروا وتكلم جعفر باسمهم، وأجاب النجاشي على سؤاله عن دينهم، وبيّن له حقيقة الإسلام كما تعلمون، وما جاء به من خير وحق، فطلب النجاشي منه أن يسمعه شيئًا من القرآن، فقرأ عليه آيات من سورة مريم، فبكى النجاشي، وقال: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم قال لعمرو وعبد الله: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما.

الآن، هذا المكان في الحبشة اسمه إقليم تيجراي شمال أثيوبيا، وفيه بئر حفرها الصحابة للوضوء إلى اليوم يستعملها الأهالي، وبقايا ديارهم التي بنوها موجودة، واسم النجاشي أضرآذ بن أبحور بن أبجر، كما يقول الإثيوبيون، واسمه أصحم، أي عطية الله. وقبره موجود بجانب المسجد في قرية النجاشي، القرية اسمها قرية النجاشي إلى الآن، وتحيط بقرية النجاشي عدة قرى أخرى يسكنها أحفاد بعض الصحابة الكرام الذين هاجروا إلى الحبشة واستقروا هناك.

يعني إلى اليوم أحفاد الصحابة موجودون في الحبشة. وبالقرب من قبر النجاشي رضي الله عنه، يوجد ضريح الصحابي عدي بن النظير رضي الله عنه الذي مات قبل النجاشي، وشارك النجاشي نفسه في دفنه، كما توجد خمسة قبور أخرى، تضم رفات الصحابة: حاطب بن الحارث، وسفيان بن معمر، عبد الله بن الحارث، وعرو بن عبد العزيز، بأسماء غير معروفة

للناس. ولكن هم الأوائل الذين هاجروا بدين ابتغاء مرضاة الله عز وجل. وقد دفن هناك 15 صحابي وصحابية، عشرة من الرجال، وخمس من النساء.

تؤكد المخطوطات أن حكم النجاشي وأسرته استمر لفترة حوالي 320 عامًا، زاد فيها العدل. وكان للنجاشي ثلاثة أبناء هم أريحا، وعبد الله، وأبو نيرز الذي أصبح مولى للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ولما توفي النجاشي، أرسل أهل الحبشة وفدًا منهم إلى أبي نيرز وهو مع علي ليتوجوه ملكًا. فقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله علي بالإسلام. ويقول رواية السير النبوية أن النجاشي توفي في السنة التاسعة هجرية، ونعاه الرسول عليه الصلاة والسلام في اليوم الذي مات فيه، وقال للصحابة الكرام: توفي اليوم رجل صالح من الحبشة، فهلم، فصلوا عليه صلاة الجنازة.

إلى هنا، أكون قد أنهينا درسنا. لم تم في رعاية الله. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.